

علم الدلالة للألفاظ العربية في "البيان والتبيين" عند الجاحظ

فيروز حريجي*

سيده رقيه مهري نژاد**

الملخص

يعتبر الجاحظ من أبرز مشاهير العلم والأدب في العالم، كما يعتبر إلى جانب اضطلاعه في مختلف العلوم والمعارف والأدب، من جهاذة علم الكلام والعقائد، بحيث وضع باسمه مذهب جديد سمى في تاريخ علم الكلام بالجاحظية. أما آثاره ومؤلفاته، أيًا كان موضوعها، فلا تكاد تخلو من الجانب الأدبي، بل ويغلب عليها الأسلوب الأدبي. إن من أهم مآثر الجاحظ كتاب "البيان والتبيين" الذي طبقت الآفاق شهرته، ويحتوي على العديد من المواضيع المفيدة. ومما يستشف في هذا الكتاب فضلا عن تعدد الموضوعات هو ما عرض الجاحظ من مقدراته العلمية الكبيرة، وقريحته الأدبية الفاتحة، ومن أبلغ أعماله في الكتاب أهمية من الوجهة الأدبية، يمكن الإشارة إلى دراسات علم الدلالة للألفاظ وفق المنهجين القديم والحديث، وإن قام علم الدلالة الحديثة على أسس لم تكن معهودة شائعة في القديم، فلا يدل هذا على أن المناهج التي كان المتقدمون يتناولون بحوثهم على أساسها غير مقبولة لدى المعاصرين، وقد حاولت كاتبة هذه السطور في إثبات وثاقة أخبار المتقدمين وإتقان أساليب استخدامها الجاحظ كأحد المتقدمين في بيان الألفاظ وتفسيرها.

الكلمات الدليلية: الجاحظية، البيان والتبيين، المعنى، اللفظية، علم الدلالة، الألفاظ العربية.

**. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات بطهران - أستاذ.

**. خريجة جامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات بطهران - مرحلة الدكتوراه.

Mehrinezhad_r@gmail.com

تاريخ القبول: ١٣٩٠/٨/٢٨ هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٧/٦ هـ. ش

المقدمة

لم يكتف الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بجمع الآيات القرآنية، والخطب، والكلمات الحكيمة، والأشعار، وضرب الأمثال، وما إلى ذلك، وإنما عرض في مواطن مختلفة من كتابه وبمرات عديدة للتفسير والتبيين بكثير من المناهج، والأساليب القويمة، وتناول المباحث بالدرس، وأمعن النظر وتعمق، فتارة قد اكتفى ببيان المعاني والمفاهيم المعجمية للكلمات واللغات، وتارة أخرى نراه يفسر الألفاظ برأيه، ويعبر عن معناها بتعابير نحو "هنا" و"هاهنا"، على أنه إضافة إلى هذا تطرق إلى تبين الكلمات، واللغات، والتعابير عبر بيان المعاني والمفاهيم الاصطلاحية، وبسط الحدود والرسم العقلية والمنطقية، وبما أن البيان وكذلك التبيين والتبيان قد جرى في هذا التفسير اللغوي في الكتاب، فقد سماه "البيان والتبيين".

الولادة

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ، من النوابع وعباقرة اللغة الكبار، لم يصل إلينا عن بداية حياته وولادته إلا معلومات قليلة. ولد الجاحظ سنة ١٥٩ هجرية الموافقة لـ ٧٧٥ للميلاد في مدينة البصرة. وأما بالنسبة إلى أصلته فقد اعتبره بعض التراجم من العرب وبعض آخر نسبه إلى إفريقية.

توفى أبوه والجاحظ طفل صغير، فذاق هذا العالم منذ نعومة أظفاره مرارة اليتيم والفقر، وجرب مرارات أخرى. إن التاريخ لم يبق لنا تأريخاً دقيقاً لولادة الجاحظ ولا شك في أنه لم يكن بنفسه مطلعاً على تاريخ ولادته. غير أن بعض المؤرخين ذكروا تاريخ ولادته سنة ١٦٣ للهجرة واعتبروا وفاته سنة ٢٥٥ للهجرة. (الزركلي، ١٩٩٨م، ج ٥: ٢٣٩) وإن لم يكن تاريخ ولادة أبي نواس غير معلوم فليس من تاريخ ولادة الجاحظ أيضاً معلومات دقيقة، وإنما قال هو نفسه في أخريات حياته: إنني ناهزت التسعين. (القالى،

١٩٥٣م، ج ١: ٤٩)



في لقبه

إنه أبو عثمان عمرو بن بحر الكنانى الفقيهى البصرى الملقّب بالجاحظ، ولقّب جاحظاً لأن عينيه جاحظتان، والجحوظ نتوء حدقة العين. لم يكن الجاحظ فى شبابه يرضيه هذا اللقب، وكان يسعى فى أن يوقف الناس على أن اسمه عمرو، فصنف رسالة فى اسم الشعراء الملقبين بعمرو، كما وألّف رسالة أخرى وقدمه ثلاثين شخصاً كانوا ملقبين بعمرو، غير أنه لم يكن فى أيام شيخوخته يمنع أحداً إذا ناداه بالجاحظ. (بلا، ١٩٨٥م: ١٠٠-٩٩)

مذهب الجاحظية

تنسب إلى الجاحظ الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، والمعارف فى مذهبه ضرورية بالطبيعة وليس شىء منها يفعله العباد، وإنما العباد ذوو الإرادة، وأفعالهم ناشئة من طباعهم، فإنه يرى أن أهل النار لا يعذبون فى النار خالدين، بل يستحيلون إلى النار، ويصبحون ناراً والنار تجذب أهلها. (الشهرستانى، ١٩٤٨م: ١٠٢)

قد رجّح هذا العالم المعتزلى فى تصانيفه العقل على الحواس، وبالغناية إلى أصول مذهبه الجاحظية يقبل على الجدل كثيراً. إن الجدل أسلوب شائع فى أيام الجاحظ، فإنه كان يستخدم فى آثاره علم الكلام بصورة جدلية هازتة، ويستعين فى إنجازاته الأدبية طريق الشك والتردد للوصول إلى اليقين. أصيب الجاحظ فى أواخر حياته بالشلل وأصبح فالجا فى نصف جسده، فعاد إلى مسقط رأسه البصرة، وقام بالدراسة والتعليم.

قيمة كتاب "البيان والتبيين" أدبياً وتاريخياً

إنه كتاب صنفه الجاحظ بالعربية، وهو مختارات من الأدب العربى، والآى القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأشعار، والحكم والخطب، قد مزجها المؤلف بآرائه وعقائده وهو يحتوى على مباحث فريدة خلاصة فى المسائل الأدبية نحو اختلاف العرب فى استعمال الألفاظ، وعيوب اللسان، والبيان، والبلاغة، والشعر، والخطب، والأسجاع،



وأسماء الخطباء، والبلغاء، والكهان، وغيرهم، قد طبع الكتاب مرات. (معين، ١٣٦٢ش: ٣٠٧)

وإنه كتاب تمتع فيه مؤلفه بالموضوعات العقلية، وعكست كمرآة جليلة ثقافة عصر مصنفه الأدبية، والنحل الفلسفية فيه. قال ابن خلدون: وسمعنا من شيوينا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهى:

١. أدب الكاتب، لابن قتيبة الدينورى.

٢. كتاب الكامل للمبرّد.

٣. كتاب البيان والتبيين لعمر بن بحر الجاحظ.

٤. كتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى. (ابن خلدون، لاتا: ٥٥٤-٥٥٣)

ثم يقول مؤكدا: وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها.

قيمة هذا الكتاب التاريخية أنه جامع لمختلف الثقافات اليونانية والهندية والفارسية، التى حملت ثقلها اللغة العربية عندما نقلت إليها أشياء من أخبار هذه الشعوب، والحكم، والنصائح التى تحملها لنا. (الجاحظ، ١٩٩٠م: ٥)

فقد ذكر الجاحظ فى كتابه هذا ما ذكرت العرب من الأمم البائدة، والقرون السالفة. ولبعضهم بقايا قليلة، وهم أشلاء فى العرب متفرقون مغمورون، مثل جرهم، وجاسم، ووبار، وعملاق، وأميم، وطسم، وجديس، ولقمان، والهرماس، وبنى الناصور، وقيل بن عتر، وذى جدن. إن الجاحظ قد صنف هذا الكتاب فى أواخر عمره وكان هدفه الأساس فى تأليف الكتاب، كما يدل عليه اسمه، هو تعليم قواعد الكتابة الصحيحة للناشئين، ثم قام فيه ببيان أسرار اللغة ورموزها ليكون دليل الكتاب الأفاضل كى لا يخطئوا فى كتاباتهم.

محتويات الكتاب

يشمل كتاب فصولا نقدية قيمة استهلها الجاحظ بذكر أسباب ضعف الناس وعجزهم فى التكلم، ثم تطرق إلى فصاحة اللغة، وفن الخطابة والخطباء، ومن ثم أورد أنواع



الدلالات منها الإشارة باليد، والرأس، والوجه، وفنّد الشعوبية بشدة في قسم آخر من كتابه - كما تقدم ذكره آنفاً - وإن لم يكن علاقة وتسلسل منطقي بين هذه المباحث، ولا يمكننا الحصول على أي ارتباط بين مختلف الأفكار ومتعدد الآراء الواردة في الكتاب. ويمكن بالنظر في الكتاب أن يقال بأن فيه وجوهاً وجوانب تعليمية توجيهية، وأن الغاية الرئيسة التي يلتزمها المؤلف هي البلاغة وعلم البيان والنقد، والجاحظ درس هذه العلوم في كتابه باضطلاعاً علمياً.

صنف الكتاب في ثلاثة مجلدات، لا تجد أي علاقة وتنسيق خاص بين المجلدات الثلاثة، وهذا يرجع إلى أسلوب المؤلف ومنهجه الخاص حيث أتبع هذا المنهج في جميع مؤلفاته وخاصة في البيان والتبيين.

مدخل في علم الدلالة

بما أن هناك علاقة وضعية بين الألفاظ ومعانيها، وأن العديد من الطرق والمناهج التي تؤدي في إثبات أصول السمنطيقا وقواعدها إلى هذه العلاقة، فيجدر بداية أن نذكر مدخلاً قصيراً في موضوع السمنطيقا ومعرفة دلالة الألفاظ.

طالما كان الفلاسفة، والمتكلمون، والمفسرون ينقبون في معرفة المعنى، وقد فطنوا أنه ليس نيل الحقيقة، والمطلوب، والهدف الرئيس من العبارة، أمر سهل يسير في جميع الأحيان، ولعل هناك جملاً وعبارات لا تبدو في ظاهر أمرها صعبة تشكل على القارئ والمخاطب، فيما أن المراد والمقصود قد يعارض ظاهر الكلام. فقد ابتدأت دراسة المعنى عندما اطلع الإنسان في اللغة واللسان على معلومات، فعلم أن هناك رغم ما يظهر من جلاء الألفاظ والعبارات مستويات من المعنى خافية، بحيث على المخاطب أن يعتنى بها ويستنبط المعنى المراد من هذه الطبقات المعنوية.

هناك للسمنطيقا، مصطلحات مختلفة، من أهمها في اللغة العربية "علم الدلالة"، و"علم المعنى"، كما ومن أبرزها في المصطلحات الفرنسية (semantique)، وتدعى في اللغة الإنجليزية بـ (semantics) والألمان يعرفونها بـ (semantik) والذي استخدم الاصطلاح



الفرنسوى لأول مرة هو ميشل بريال (Breal.J.M). (بالمر؛ وعوض حيدر، ٢٠٠٥م: ١٢)
وعلى هذا فإن دراسة اللغة، أى لغة تنقسم إلى مستويات أهمها هي:
١. مستوى الأصوات ٢. مستوى الصرف ٣. مستوى النحو ٤. مستوى الدلالة، الذى
يختص بدراسة معانى الكلمات ٥. مستوى المعجم، ويستمد وجوده من علم دراسة
تاريخ الكلمات، وعلم الدلالة. (حاجى زاده، ١٣٨٨ش: ٥٩)

المعنى فى اللغة

قد ذكر ابن منظور فى بيان كلمة "المعنى" ما يلى لفظه: «... وَمَعْنَى كُلِّ شَيْءٍ مَحْنَتُهُ
وَحَالُهُ التى يصير إليها أمره. وروى الأزهرى عن أحمد بن يحيى قال: المَعْنَى والتفسير
والتأويل واحدٌ، وَعَيْنُتُ بالقول كذا: أردت. ومعنى كلِّ كلامٍ ومعنائه وَمَعْنِيَّتُهُ: مَقْصِدُهُ.»
(ابن منظور، ٢٠٠٥م، ج١٥، مادة: عنى)

وقال الزبيدى فى تاج العروس: قال الفارابى: ومعنى الشىء وفحواه ومقتضاه
ومضمونه كله ما يدل عليه اللفظ... ويجمع المعنى على المعانى وينسب إليه فيقال
المعنوى، وهو ما لا يكون للسان فيه حظٌّ، إنما هو معنى يُعرف بالقلب. (الزبيدى، ١٩٦٦م،
ج١، مادة: عنى)

ويكمن أن نخلص مما تقدم أن لفظة "المعنى" لغةً، يدلُّ على الأمور التالية:
١. مراد الكلام والمعنى منه.

٢. فحوى الكلام وما يدل عليه الكلام.

٣. المعنى المستور الخافى الذى يستشف بالعقل والقلب. وأن المعنى غير اللفظ.

وأما لفظة المَعْنَى على وزن «مَفْعَلٍ» فهى مشتقة من فعل «عُنِيَ» بالأمر - عنياً
وعنايةً: اهتَمَّ وشُغِلَ به فهو مَعْنَى به. (إبراهيم، ١٩٢٦ق، ج١: ٦٣٢) ومعنى الكلام هو مقصده
والغرض منه والمَعْنَى هو ما يدلُّ عليه اللفظ. (المصدر نفسه: الصفحة نفسها)

وأما مفهوم المعنى فى الاصطلاح: يقول الزبيدى فى تاج العروس عن المعنى اصطلاحاً:
«المعانى هى المصوراتُ الذهنيةُ من حيث وضع بازائها الألفاظ.» ثم يذكر لكل من



هذه الصور الذهنية مصطلحات حسب مراتب حصولها في الذهن، فإن كانت الصورة الحاصلة في الذهن من حيث اللفظ فهي المعنى، وإذا كانت هذه الصورة الحاصلة من اللفظ قد حصل عليها العقل فهي المفهوم، وإذا كانت الصورة الحاصلة في الذهن تألفت في جواب "ما هو؟..." فتدعى بالماهية، وأما من حيث تكون هذه الصورة الحاصلة في الذهن في العالم الخارجي فتسمى بالحقيقة، وهي من حيث افتراقها من سائر المصاديق فتتخذ وجوداً مستقلاً وتعرف بالهويّة. (الزبيدي، ١٩٦٦م، ج ١٠، مادة: عنى)

العلاقة بين اللفظ والمعنى

لقد أشار نصير الدين الطوسي اتباعاً لابن سينا في بعض آثاره العقلية والمنطقية كشرحه على الإشارات وأساس الاقتباس، إلى أكوان أربعة في بيان العلاقة بين اللفظ والمعنى، وهي:

١. الكون الخارجي
٢. الكون الذهني
٣. الكون اللفظي
٤. الكون الكتابي

فدلالة الكون الكتابي على الكون اللفظي، دلالة وضعية ومثلها دلالة الكون اللفظي على الكون الذهني، تختلف باختلاف الأوضاع والظروف واللغات، إلا أن دلالة الكون الذهني على الخارجي منه دلالة طبيعية لا يتطرق إليه الاختلاف باختلاف الظروف، فلكون العلاقة بين اللفظ والمعنى ثابتة قد يتحقق انتقال الذهن إلى المعنى عن طريق الألفاظ الذهنية وتصويرها في الذهن، وإلى هذا يرجع سبب أن ظهور أحوال خاصة في الألفاظ يؤدي إلى توهم نظائرها في المعاني، وتتغير المعاني بتغير الألفاظ، فتظهر المغالطات.

إن الألفاظ الموضوعية تدل على معانيها بثلاثة أوجه: المطابقة، التضمن، الالتزام.

(أ) المطابقة

إذا دلّ لفظ على تمام معناه فتسمى دلالته مطابقةً، نحو دلالة لفظ البيت على السقف والجدران، ومثله دلالة لفظ الماء على جزئيه الفيزيائيين.

ب) التضمن

إذا كانت دلالة اللفظ على جزء من معناه، مثل دلالة لفظ البيت على السقف وحده أو الجدار دون غيره، فتسمى هذه الدلالة تضمنا، إذ إن لفظ البيت يدل في ضمن دلالاته على مجموع أجزاء البيت، على جزء واحد بعينه أيضا.

ج) الالتزام

إذا دل اللفظ على شيء أجنبي خارج عن أصل معناه، كدلالة لفظ البيت على سكانه، أو دلالة الماء على وعائه فهي دلالة التزام، ففي الدلالة الالتزامية يسمى المعنى الأصل ملزوما، والمعنى الخارجي لازما، وما بينهما من العلاقة هو اللزوم. (المظفر، ١٣٥٧ش:

٣٥-٣٨)

واللزوم على قسمين:

أ. اللزوم البيّن؛ ب. اللزوم غير البيّن.

أ. اللزوم البيّن

إذا تحقق تصور اللازم بمجرد تصور الملزوم، وهو على قسمين:

١. البيّن الأخصّ

إذا تحقق اللزوم بين اللازم والملزوم بمجرد تصورهما فيسمى اللازم البيّن بالمعنى الأخصّ كالماء والرطوبة.

٢. البيّن الأعمّ

إذا لم يكن تحقق تصور اللازم من تصور الملزوم، وإنما يحصّ القطع واليقين باللزوم من تصور الملزوم واللازم وتصور النسبة والعلاقة بينهما، فيسمى اللازم بالمعنى الأعمّ كالحرارة.

ب. اللزوم غير البيّن

إذا خفى اللازم واحتيج للوقوف عليه إلى القرائن والوسائط فيدعى اللازم بغير البيّن،



نحو الكرم وكثرة استهلاك الطاقة في المطبخ. (راجع: توسي، ١٣٣٥ش: ٢٣ و ٨؛ المظفر، ١٣٥٧ش: ٣٥-٣٢)

إن أول المبادئ في معرفة المعنى والمفهوم يقوم على أساس من الدلالة وكيفية الوضع، والجعل، والعلاقة بين اللفظ والمعنى، وقد درس كتاب البيان والتبيين هذه الدلالات على النحو التالي:

١. المعنى اللغوي والمعجمي

إن الجاحظ قد بيّن وفسّر في مواطن مختلفة من كتابه البيان والتبيين، كثيرا من اللغات المستخدمة في الأشعار والخطب والأحاديث والأخبار وغيرها، واختار معنى دون معنى آخر ولم يأت بأى استدلال في ترجيحه معنى على الآخر. إن كاتبة المقالة هذه قد وثقت تفاسير الجاحظ بالإرجاع إلى المعاجم اللغوية المعتمدة، وقد استند في هذا الأمر إلى المعاجم المدونة قبل الجاحظ، أهمها كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وكذلك المعاجم التي جاءت بعده كالصاحح للجوهري، وقاموس اللغة للفيروز آبادي، وقد تمتعت بالمعاجم المعاصرة والمعاجم الفارسية منها منتهى الأرب في لغة العرب لصفى بور الشيرازي، ومحيط المحيط للبستاني. ومما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أن المعاجم اللغوية ليست قادرة على تقديم كل ما للفظ من المعنى، واللفظ يتخذ معنى يتوافق والنص الذي هو فيه وما جاوره من الكلمات والتراكيب يمكن أن يكون أوسع مما ورد في كتب اللغة أو أضيّق. فالتخييل والمجاز يمكنان المستخدم من أن يتذرع بحفظ الأصول ومرعاة جوانب اللغة والوضع، وكذلك بوجود القرينة في الجملة، ليزيد على سعة معنى اللفظ أو ينقص منها.

فالنظر إلى اللغة أيضا قد اعتراه التغير وتطور، فعلى وجهة النظر الجديدة هذه يتفاوت فهم الأشخاص من اللغة بتفاوت ما لهم من الروحيات والخلقيات والتجارب، ولا يكاد يشترك اثنان من الناحية النفسية، فلا يمكن العثور على اثنين يفهمان فهما واحدا من لغة واحدة.

٢. المعنى والمفهوم لدى التفسير بالرأى

إن الجاحظ قد يتعرض إلى تفسير لغات في كتابه هذا برأيه، ويستخدم تعابير منها "هنا" و"هاهنا"، والذي ينبغى الانتباه به في التفسير بالرأى أنه يفيد العموم، إذ يشمل الجعل والوضع، كما يحتمل إثثار معنى على معنى آخر من معانى اللفظ المختلفة تأويلاً أو مجازاً. إضافة إلى أن بعض تلك المعانى المذكورة في هذا القسم من التفسيرات اللغوية لم نقف عليها في المصادر التي استند إليها المؤلف، فمن الممكن أن يكون الجاحظ قد جعل من تلقاء نفسه مثل هذه المعانى، فتعبيرى "هنا" و"هاهنا" في هذه المقالة مع احتمالنا يردّ بعض الاعتراضات والمؤاخذات في هذا الأمر.

٣. تبيين المعانى الالتزامية وبيان تفاسير على أساس الحدّ أو الرسم المنطقيين

إن بعض التحليلات اللغوية التي تبني على التعاريف الحدّية أو الرسمية العلمية أو البلاغية، أو المنطقية، مما يزيد كتاب "البيان والتبيين" أهمية، وبهذا الطابع قد فاق التصانيف الأخرى المصنفة في هذا الفن. إن كاتبة المقالة هذه قد تناولت هذا المنهج بالدرس بإيراد مفردات منتخبة حسب تفسير الجاحظ، وتبينه لها في كتابه البيان والتبيين، فقد جمعت كل الألفاظ المفسرة بما سميناه التفسير بالرأى، مؤكدة أن: علم الدلالة في هذا الكتاب تقتضى درس اللغات وفق كيفية استخدامها في دلالتها الحقيقية أو المجازية أو الالتزامية فلتبين أمور عدة منها:

١. الألفاظ التي تدلّ على المعنى الحقيقي الوضعى وقد ذكرتها المعاجم اللغوية.
 ٢. الألفاظ المستخدمة في غير ما وضع له من المعنى كالاستعارة أو التشبيه أو المجاز، أو المعنى الذى ذكره المؤلف بقوله "هنا" أو "هاهنا"، مما سمّى ها هنا بالتفسير بالرأى.
 ٣. الألفاظ المستخدمة في المعنى الاصطلاحى نحو المصطلحات النحوية أو الصرفية أو المنطقية أو الفقهية أو غيرها، أوضحها بتعريف تام أو ناقص لها.
- وإليك نماذج من بيان المفردات استناداً إلى المعاجم اللغوية الموثقة:



الثَّلَّة

الضَّانُّ الكَثِيرَةُ.

الثَّلَّةُ بالفتح: جَمَاعَةُ الغَنَمِ، والثَّلَّةُ: الصَّوْفُ فقط، عَن ابن دريد يُقال: كَسَاءٌ جَيِّدٌ الثَّلَّةُ: أَى الصَّوْفِ. (ابن منظور، ٢٠٠٥م، ج ١، مادة: ثلل).

الثَّلَّةُ: جَمَاعَةُ الغَنَمِ. (الجُرِّ، ١٩٧٣م: ٣٦٦)

الثَّلَّةُ: ج ثَلَلٌ وَثَلَالٌ: القِطْعَةُ الكَبِيرَةُ مِنَ الغَنَمِ، يُقال: «فُلَانٌ لا يَفْرُقُ بَيْنَ الثَّلَّةِ وَالثَّلَّةِ»: أَى إِنَّهُ لا يَعْرِفُ الإِنْسَانَ مِنَ الغَنَمِ. (المنجد: بندريجي، لاتا، ج ١، مادة: ثلل)

ولفظه «الثَّلَّة» لم نعرث عليها في كتب اللغة المعتمدة المتقدمة، ومن المحتمل أن يكون المتأخرين في معاجمهم قد أخذوها عن الجاحظ، حيث نرى أمثال هذه المعاني في البيان، كما وليس يستغرب أن يكون الجاحظ هو الذى وضع هذه المعاني لهذه الألفاظ.

الخُلْد

ضَرَبٌ مِنَ الجُرْدَانِ يُوَلَّدُ أَعْمَى. قال صفوان الأنصارى فى بَشَارٍ وَأَخَوَيْهِ وَكان يَخاطبُ أَمَهُم:

وَلَدَتِ خُلْدًا وَذِيخًا فى تَشْتُمُهُ وَبعده خُزْرًا يَشْتَدُّ فى الصُّعْدِ

(ب: ٤٨/١)

ولدت فارة عمياء وذكر ضبع، أعرج قبيحا، ثم تمخضت عن أرنب قصير اليد سريع فى صعود العقبات الكأداء.

الخُلْد: ضَرَبٌ مِنَ الجِرْدَانِ عُمَى، لم يَخْلُقْ لها عُيون، واحدها خُلْدَةٌ، والجمع خُلْدان. (الفراهيدى، ١٤٢٥ق، ج ١، مادة: خلد)

الخُلْد: ضَرَبٌ مِنَ الجِرْدَانِ أَعْمَى. (الجوهري، ٢٠٠٨م، مادة: خلد)

الخُلْد: لِلْفَارَةِ العَمِيَاءِ. (البستاني، ١٩٨٩م، ج ١، مادة: خلد)

الخُلْد: الْفَارَةُ العَمِيَاءِ. (إبراهيم، ١٤٢٦ق، ج ١، مادة: خلد)

شَريجان

جِنْسَانِ مُخْتَلِفَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. قَالَتِ الْجُهَيْنِيَّةُ:

بَصِيرٌ بَعُورَاتِ الْكَلَامِ إِذَا لَتَقَى شَريجانَ بَيْنَ الْقَوْمِ: حَقٌّ وَبَاطِلٌ

(ب: ١/١٨٦-١٨٥)

إذا التقى فريقا الحق والباطل فهو عارف بفواحيش الكلام وعيوبه.

الشريجان: لُونَانِ مُخْتَلِفَانِ وَخَطَا نَبْرَى الْبُرْدِ وَالْمُسَارَجَةُ الْمُسَابَهَةُ، وَفَتَيَاتُ مَشَارِجَاتُ

مُتَسَاوِيَاتٌ فِي السَّنِّ. (الفيروزآبادي، ١٩٨٧م، ج ١، مادة: شرح)

الشريجان: لُونَانِ مُخْتَلِفَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. (الجر، ١٩٧٣م: ٧٠٨)

الشريج ج شرائج: المثل والنظير. (بندرريگي، لاتا، مادة: شرح)

أما نماذج مما فسّر الجاحظ الألفاظ برأيه، واتسمها بتعبير "هاهنا"، فكما يلي:

العَوَج

عَوَجٌ: جَمْعُ عَوَجَاءٍ، وَهِيَ هَاهُنَا: الْقَوْسُ.

العَوَجُ أَعْوَجُ وَالْأُنْثَى عَوَجَاءٌ وَجَمْعُهُ عُوْجٌ: الْقَوْسُ. (الفراهيدي، ١٩٨٨م، ج ٢، مادة:

عوج)

أعوج مؤنثه عَوَجَاءُ: الْقَوْسُ. (الجوهري، ٢٠٠٨م، مادة: عوج)

عَوَجَاءُ الضَّاصِرَةِ مِنَ الْإِبِلِ وَهَضْبَةٌ تُنَاوِحُ جَبَلِي طَيْبِيٍّ فَرَسُ عَامِهِ بْنِ جُوَيْنٍ

الطَائِيِّ وَاسْمٌ لِمَوَاضِعَ وَالْعَوَجَاءُ: الْقَوْسُ وَعَاجٌ. (الزبيدي، ١٩٦٦م، ج ٢، مادة: عوج)

أعوج مؤنثه عَوَجَاءُ ج عُوْجٌ: الْقَوْسُ. (ابن منظور، ٢٠٠٥م، ج ٢، مادة: عوج)

فالجاحظ في هذا المثال قد فهم من "العوجاء" في هذا الموضع معنى القوس وبين

هذا المعنى وأصل المفهوم اللغوي تناسب وتوافق تام.

العَرَبُ:

هاهنا: الدَّوَامُ.



العَرَب: التَّمادى. (الفراهيدى، ١٩٨٨م، ج ٢، مادة: غرب)

قد أثبتت المعاجم هذه الكلمة بمختلف الحركات ومتعدد المعانى، وأما الدوام فلا وجود له فيما بينها، على أنه هناك مفاهيم ومعانى توافق معنى الدوام، منها: عرق فى العين يسيل منه الماء والدمع دائماً ولا يقف. (شاهجهانى، لاتا: ٣٧٦) ومن أمثلة الألفاظ التى بينها الجاحظ بشكل تام، فهى:

ضَاوِية الأعراق:

ضَاوِيةُ الأعراق، أى ضعيفةُ الأعراق نحيفتُها، يقال رجلٌ ضاو، وفيه ضاويةٌ، إذا كان نحيفاً قليلَ الجسم. وجاء فى الحديث: «إغتربوا لا تُضَوُوا». أى: لا يتزوَّج الرَّجل القِرابة القريية، فيجىء ولده ضاويًا. والفعل منه ضَوَى يَضْوَى ضَوًى. والأعراقُ: الأصول، والمحاقُ: التى عادتُها أن تلد الحمقى.

قال الشاعر:

أزرى بسعيك أن كنت امرأ حمقاً من نسل ضاوية الأعراق محماق

(ب: ١٦٤/١)

هناك ثلاث ملاحظات فى هذا التبيين:

١. تفسير لفظة "الضاوية" من حيث المفهوم اللغوى، وكذلك من حيث استعمالها فى الحديث، ومن حيث الأصل الذى اشتقت منه وفعالها.

٢. تفسير كلمة "الأعراق"

٣. إيضاح كلمة "المحماق"

العُمران:

العُمران مأخوذٌ من العُمُر، وهو البقاء، فإذا بقى الرَّجل فى داره فقد عمرها.

وطَفِقَتْ سحابةٌ تَغشاها تَبكى على عِراضِها عيناها

قد تخيِّمت على ذلك البيت سحابة، ولم تلبث أن بكت عيونها على ساحاته.



...قوله "مُصَاهاً"، يعنى مَسَاءها. و"مغناها": موضعها الذي أقيم فيه. والمَغَانِي: المَنَازِلُ التي كان بها أهلؤها. و"طَفِقْتُ": يعنى طَلَّتْ. «تبكى على عراصها عيناها». عَيْنَاهَا: هاهنا للسَّحاب، وجَعَلَ المطر بكاءً السَّحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشَّيء باسم غيره إذ أقامَ مقامه. ويقال لكل جَوْبَةٍ منفَتِقَةٍ ليس فيها بناءٌ: عَرَصَةٌ. ويمكن الإشارة في تبين الألفاظ الواردة في البيت إلى عدة ملاحظات على النحو الآتي:

١. تفسير لغة "العرمان" من حيث علم الدلالة الأصل الذي اشتقت منه والمفاهيم المستعملة.
٢. شرح كلمة "المُصسى".
٣. بيان كلمة "المَغَانِي".
٤. تفسير فعل "طَفِقْتُ".
٥. بيان كلمة "عَيْنَاهَا".
٦. جعل المطر بكاءً السحاب على طريق الاستعارة.
٧. نموذج من علاقة تسمية الشيء باسم غيره.

النتيجة

بما أن الجاحظ أحد جهايزة المترسلين في الأدب العربي، وله مصنفات هامة مؤثرة في اللغة، فتعرضنا لترجمة قصيرة له، وما في كتاب "البيان والتبيين" من علم الدلالة للألفاظ المفردة، وخلصنا إلى نتائج منها:

١. إن الجاحظ وإن ولد في بيت فقير بالبصرة، قد تمكن بعد نموه وترعرعه في مسقط رأسه ولرغبته الأكيدة في الدراسة، تمكن من انتقاله إلى دار الخلافة بغداد فتتلمذ هناك على علماء كبار في العلم والأدب، وخلق مآثر أدبية هامة بمؤازرة الوزراء العظام آنذاك.

٢. إذا قطعنا النظر عن بعض الاستطرادات الشائعة في نثر الجاحظ، يمكن القول بأن



آثاره تمثل لنا دائرة معارف للعصر العباسى.

٣. لمعظم مصنفاته كالبیان والتبيين، والحيوان والبُخلاء، أثر كبير فى النثر العربى وعليه من قبل الناس عامة والأدباء خاصة إقبال عظيم.

٤. يستشف بدراسة الأشعار العربية أن الجاحظ رغم ما له من عبقرية وذكاء واضطلاع فى رواية الأشعار وتفسير لغاتها قد يورد تفسيراً للفظ لم يذكر بيت شعر أو كلام يتضمنان اللفظة المعنوية، كما أورد كلمة "هدمين" ص ١٦١ من المجلد الأول شعراً لأوس بن حجر، وفى لفظ "الطَّارِف": المستفاد ص ١٦٣-١٦٢ من المجلد الأول شعراً لابنة وثيمة بن عثمان، وفى كلمة "الصَّرِيف": صوت احتكاك الأنياب ص ١٢٠ من المجلد الأول شعراً للمهلل، غير أنه لم يوجد فيها تلك الكلمات الآتية، ولم يتناول مصحح نص «البیان» هذه الألفاظ بالنقد والدراسة.

٥. يبدو من إمعان النظر فى الكتاب أن الجاحظ بعد ما تطرق فى المجلد الأول من كتاب "البیان والتبيين" إلى شرح المفردات وتفسير الألفاظ فى كل بيت يورده، فترك هذا الأمر فى المجلدين الثانى والثالث لفهم المخاطب، والجدير بالذكر أن الجاحظ نفسه قد توصل فى المجلد الأول إلى غايته المطلوبة فى البحث عن معنى المفردات، وكأنه كان يرى قارئ كتابه "البیان والتبيين" فى شأن مثل شأنه العلمى، فعلى أى حال كان عليه ألا يترك مفردات المجلدين الثانى والثالث دون دراسة وتفسير.

٦. لم يتبع الجاحظ فى تفسير المفردات وتفسيرها أى نظام ومنهج ومعيار وشرح بعض المفردات ولم يذكر أى منهج له أو أساس بنى عليه تفسيره اللغوى، هل كان يعتبر ما شرح من المفردات صعباً عسير الفهم أو اختار تلك الألفاظ لسبب خاص له، فلا يقبل من عالم مثله مثل هذه الدراسة، وإن كان بوسعنا أن نحسب هذا الأسلوب فى شرح المفردات معهوداً شائعاً آنذاك.

٧. لم يكنف الجاحظ بالمواضيع التى درسها فى المجلد الأول نحو عيوب اللسان، والبيان، والبلاغة، والشعر، وذكر المعلمين، وذكر الخطباء، وغيرها، وإنما ذكر العديد من المواضيع دون ترتيب وعلاقة بينها، وهناك استطرادات فى كتاب البيان والتبيين.

المصادر والمراجع

- إبراهيم. ١٤٢٦ق. المعجم الوسيط. الطبعة الخامسة. طهران: مؤسسة الصادق.
ابن خلدون. لاتا. المقدمة. مطبعة المصطفى محمد (ص).
ابن منظور، محمد بن مكرم. ٢٠٠٥م. لسان العرب. الطبعة الأولى. لبنان: مؤسسة الأعلمی.
بالم، فرانكر. ١٣٧٤ش. نگاهى تازه به معنى شناسى. ترجمه كوروش صفوى. تهران: نشر مركز.
البستاني، بطرس. ١٩٨٠م. محيط المحيط. بيروت: مكتبة لبنان.
بلأ، شارل. ١٩٨٥م. الجاحظ. ترجمه: إبراهيم الكيلانى. الطبعة الأولى. بيروت: دارالفكر.
الجاحظ، عمرو بن بحر. ١٩٩٠م. البيان والتبيين. شرح عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل.
الجُرّ، خليل. ١٩٧٣م. لاروس المعجم العربى الحديث. مكتبة لاروس.
الجوهري، إسماعيل بن حماد. ٢٠٠٨م. صحاح اللغة. الطبعة الثالثة. لبنان: دارالمعرفة.
حاجى زاده، مهين. ١٣٨٨. دراسة آراء سيبويه الصّوتية فى ضوء البحث اللغوى الحديث. فصلية التراث الأدبى. العدد الخامس. السنة الثانية. جيرفت: جامعة آزاد الإسلامية.
الزبيدي، محمد مرتضى. ١٩٦٦م. تاج العروس. بيروت: دارالبيبا.
الزركلى، خير الدين. ١٩٨٨م. الأعلام. الطبعة الثالثة عشرّة. لبنان: دارالعلم للملايين.
شاهجهانى، عبدالرشيد تنوى. لاتا. معجم منتخب اللغات (عربى - فارسى). طهران: الإسلامية.
الشهرستانى، عبدالكريم. ١٩٤٨م. الملل والنحل. تحقيق أحمد فهمى محمد. الطبعة الأولى. مكتبة الحسين التجارية.
عوض حيدر، فريد. ٢٠٠٥م. علم الدلالة: دراسة نظرية تطبيقية. مكتبة الآداب.
الفراهيدى، خليل بن أحمد. ١٤٢٥ق. العين. تحقيق مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى. قم: مطبعة أسوة.
الفراهيدى، خليل بن أحمد. ١٩٨٨م. العين. الطبعة الأولى. لبنان: مؤسسة الأعلى.
الفيروز آبادى، محمد بن يعقوب. ١٩٨٧م. القاموس المحيط. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة.
القالى، أبوعلی. ١٩٥٣م. الأمالى. تحقيق إسماعيل يوسف بن ديار. مصر: مطبعة السعادة.
المظفر. محمدرضا. ١٣٥٧ش. المنطق. النجف: مطبعة النعمان.
معلوف، لويس. لاتا. المنجد. ترجمة محمد بندرربگى. الطبعة الثانية. طهران: منشورات إيران.
معين. محمد. ١٣٦٢ش. فرهنگ معین. تهران: امير كبير.
نصيرالدين توسى، محمد. ١٣٣٥م. أساس الاقتباس. تصحيح مدرس رضوى. طهران: جامعة طهران.

